

الأولى أن ينسب كتاب النخل لابن العوام(*)

لا لابن وحشية

د. جزيل عبد الجبار الجومرد

جامعة الموصل

نشر الدكتور إبراهيم السامرائي قبل قرابة عقدين ونصف من الزمن رسالة مخطوطة صغيرة بعنوان "كتاب النخل" منسوبة لابن وحشية النبطي^(١)، وهو مؤلف من أصل نبطي اكتنف الغموض حياته، وحامت حول وجوده الفعلي الشكوك، ويفترض أنه كان حياً في المدة من (٢٩١ - ٥٣١٨/٩٠٣ - ٩٣٠م^(٢)). وقد اعتمد المحقق على نسخة واحدة بخط العلامة السيد محمود شكري الألوسي (١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م) محفوظة في خزانة معهد الدراسات الإسلامية ببغداد تحت رقم ٨٣، وهي

(*) يقع نص كتاب النخل هذا في خمس ورقات ٢٠ سم x ١٣,٥ سم، وفي كل صفحة ١٨ سطراً.
(١) نشرت الرسالة تحت عنوان "كتاب النخل لابن وحشية النبطي"، المورد، بغداد، المجلد الأول، العددان الأول والثاني، ١٩٧١، ص ٦٤-٧٠ وسيشار إليه لاحقاً خلال البحث بكتاب "النخل".
(٢) لا يوجد لدينا تفاصيل واضحة عن شخص ابن وحشية، وقد كان هذا الشخص موضوع جدل طويل بين الدارسين المحدثين من حيث أصوله ونزوعاته وحتى ما إذا كان موجوداً بالفعل، للتفاصيل انظر: محمد بن إسحق التميمي: "أبو بكر أحمد بن علي بن المختار بن عبد الكريم... الكسداني الصوفي، من أهل قسين، وكان يدعي أنه ساحر... ومعنى كسداني... نبطي وهو من ولد سنحاريب...". ثم يقول "من أهل جنبلأ وقسين، أحد فصحاء النبط بلغة الكسدانيين" وقد ذكر له الكثير من الكتب وقال إنه رأى بعضها بخطه. ثم حول آراء المحدثين انظر: كارلو الفونسولينيو: علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، روموا ١٩١١، ص ٢٠٦-٢٠٩. وانظر:

T. Faed: Art. "IBN WAHSHIYYA". In Encyclopaedia OF Islam, Ed. Vol 3. 963.

منسوخة عن أصل فريد محفوظ في خزانة المدينة (١). وهنا نسخة منقولة بخط العلامة أنستاس ماري الكرملّي (ت ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م) عن نسخة الألوسي السابقة، محفوظة أيضاً في خزانة معهد الدراسات الإسلامية المذكور، تحت الرقم ٨٧. وقد كانت النسختان، الألوسية والكرملية، من مقتنيات ميخائيل عواد قبل أن يمتلكها المعهد (٣).

ويتضح من هذا، أن المحقق لم يرجع إلى نسخة المدينة واعتمد نسخة الألوسي أساساً للنشر.

وهناك مسألتان حريتان بالاهتمام في نسخة الألوسي المنقولة عن النص الوحيد المشار إليه أعلاه، أولاهما، تثبيت عنوان الرسالة و اسم مؤلفها بالشكل التالي: "كتاب النخل لأبي بكر أحمد بن علي بن المختار المشهور بابن وحشية النبطي" (٤). وثانيتهما، خاتمة الرسالة، التي يحدد فيها الألوسي تاريخ نسخ النسخة الأصلية هكذا: "نقله الفقير إليه تعالى محمود شكري الألوسي عن النسخة الخطية المحفوظة في خزانة المدينة والمكتوبة في ١٢ جمادى الآخرة سنة (٣٢٤) من هجرة خاتم الأنبياء (٥).

لم يشكك المحقق في صحة نسبة الرسالة إلى ابن وحشية النبطي بل سارع من دون عناء إلى إثباتها، وعندما لم يجد لدى ابن النديم (المتوفى بحدود ٣٨٠هـ/٩٩٠م) في فهرسته ذكراً لكتاب لابن وحشية^(٦) بهذا العنوان، إنما ذكر له

(٣) كتاب النخل، ص ٦٦، ٧٠.

(٤) المرجع نفسه، ص ٦٤.

(٥) المرجع نفسه ص ٧٠.

(٦) الفهرست، ص ٤٣٣.

كتابي الفلاحة الكبير والفلاحة الصغير، ذهب بناءً على ذلك، إلى أن "أغلب الظن أن هذه الرسالة جزء من كتابه (يعني ابن وحشية)^(٧) المشهور - الفلاحة النبطية"^(٨) ولما كان معروفاً أن الباب الأخير من أبواب كتاب "الفلاحة النبطية" الشهير لابن وحشية هو باب النخل، فقد افترض المحقق أن "كتاب النخل" هو ذلك الباب من ذلك الكتاب^(٩)، وهكذا يترتب على مثل هذا الافتراض أن يكن "النخل" وهو الجزء، حاله حال كل كتاب "الفلاحة النبطية" مترجماً عن الكسدانية (الكلدانية) أو النبطية^(١٠)، فكتاب "النخل" إذاً مترجم عن تلك اللغة وليس مؤلفاً عربياً إسلامياً. وزيادة في تأكيد هذه الافتراضات المتتالية لجأ المحقق إلى نص خاطئ في محتواه لابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/٤٠٦م) يحاول من خلاله إثبات صلة كتاب النخل بكتاب "الفلاحة النبطية" حيث يقول ابن خلدون: "وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلماء النبط مشتملة من ذلك على علم كثير"^(١١) لقد لمح نلينو من قبل باختصار شديد إلى تناقض نص ابن خلدون^(١٢)، فكيف يكون "الفلاحة

(٧) كتاب النخل، ص ٦٥.

(٨) المرجع نفسه ص ٦٥.

(٩) المرجع نفسه ص ٦٥.

(١٠) هذا ما يصرح به ابن وحشية نفسه في مقدمة كتابه الفلاحة إذ يقول: إن الكتاب - الأصلي - ألفه قبله بألوف السنين حكيم بابلي اسمه قوثامي نقلاً عن كتب أقدم من تأليفه بكثير ... وإن ابن وحشية ترجمه من لسان الكسدانيين أو النبطية - والمراد اللغة البابلية القديمة إلى العربية سنة ٢٩١هـ/١٩٠٤م، ثم أملاه سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م، على تلميذه أبي طالب أحمد بن الحسين بن علي بن أحمد الزيات: انظر نلينو: علم الفلك، ص ٢٠٦، وقد نقل السامرائي كلام نلينو هذا من دون ذكر المرجع.

(١١) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، مطبعة محمد عاطف، مصر بلا تاريخ، ص ٤٣٢.

(١٢) انظر نلينو: علم الفلك ص ٢٠٦ ولكن توفيق فهد هو الوحيد الذي يعتقد أنه بالإمكان أن تكون لنص الفلاحة النبطية صلة بالفترة الهلنستية. ومن ثم، فإن بعض نصوصه قد تكون من أصول

النبطية" مترجماً عن اليونانية وفي الوقت نفسه منسوباً لعلماء النبط؟ ومع هذا فإن السامرائي، وقد سبق أن أقر بأن الكتاب مترجم عن الكسدانية (الكلدانية) أو النبطية تأسيساً على تصريح ابن وحشية نفسه في مقدمة كتابه كما أشرنا، فإنه يعود ثانية، اعتماداً على ابن خلدون، ليثبت صلة "النخل" باليونانية بقوله "وفي رسالة النخل نقول عن هؤلاء اليونانيين ممّا يؤيد أنها من مادة هذا الكتاب الكبير (يقصد الفلاحة النبطية)(^{١٣})....

إن هذه الافتراضات والتناقضات بحاجة إلى حل واضح.

أولاً: ما هي صلة كتاب "النخل" بكتاب "الفلاحة النبطية"؟ وهل هو حقاً جزء منه؟ إن البت في هذه المسألة يكون بمقابلة نص "النخل" بمحتوى "الفلاحة النبطية"، ولما لم يكن النص الكامل "للفلاحة النبطية" محققاً ومتوافراً^(١٤)، فعلى الرجوع إلى إحدى مخطوطات كتاب لهذا الغرض^(١٥). وبالعودة إلى مخطوطة الكتاب المحفوظة في مكتبة البودليان في جامعة أكسفورد^(١٦)، وفيه يفرد المؤلف

يونانية، انظر رأيه في مقاله في *ibn Wahshiyya Encyclopaedia of Islam 2nd Ed vol* i.p.964

(١٣) كتاب النخل ص ٦٦.

(١٤) وعد توفيق فهد في مقاله المذكور في الهامش السابق (١٢) أنه سيقوم ببحوث إضافية عن ابن وحشية، وقد سمعت مؤخراً بأنه قد طبع الكتاب عن طريق المعهد العلمي الفرنسي بدمشق، سنة ١٩٩٣، ١٩٩٥، ولكنه لم يقع في يدي.

(١٥) يوجد حوالي (١٥) نسخة من هذا الكتاب، الفلاحة النبطية، بعضها ناقص الأجزاء، مبعثرة في مكتبات مختلفة في أنحاء العالم، انظر كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد بكر ورمضان عبد التواب، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥، ج٤، ص٣٢.

(١٦) توفرت لي فرصة مراجعة نسختين مخطوطين من كتاب "الفلاحة النبطية" إحداهما نسخة المكتبة الشرقية في المتحف البريطاني Br. Mus والمرقمة Add.22.371 ونسخة المكتبة البودلية بأكسفورد والمرقمة Hunt.63

الباب الأخير من الجزء الخامس من الكتاب لموضوع (النخل)^(١٧) نجد أن مادة كتاب النخل الذي حققه السامرائي تختلف تماماً عما هو موجود في باب النخل في المخطوط المذكور، فهو إذاً ليس جزءاً من كتاب "الفلاحة النبطية" البتة.

ثانياً: يبقى هنا افتراض أن كتاب النخل هو لابن وحشية ألفه منفصلاً عن كتاب الفلاحة النبطية الكبير الذي له، ثم فات ابن النديم ذكره، ولكن هذا أيضاً افتراض لا يستقيم أمام الأدلة المنبثقة من النص نفسه وبمعونة نص آخر، كما سنرى فيما يأتي:

باختصار شديد، يتكوّن نصّ كتاب "النخل" من مقدمة مختصرة جداً ثم مادة النص التي هي عبارة عن جملة نقولات من مصادر بعضها مسمى وبعضها مجهول، ثم من فقرة صغيرة للمؤلف تعكس تجربة خاصة له في مجال الفلاحة، وكذلك أحاديث نبوية فحكايات تتعلق بزراع النخل وفائدة التمر. وباستثناء الحكايات الأخيرة، فالنص في تنظيمه يشابه فصلاً عن كتاب "الفلاحة" لابن العوام الإشبيلي، الفلاحى الأندلسي الشهير (المتوفى بحدود ٥٤٠ هـ، - ١٤٥ م)^(١٨)، وهو بعنوان "فصل النخل"^(١٩)، كما أن معنى النص ومادته تشابه نص الفصل المذكور، والاختلاف اليسير بين العملين هو في بعض صياغتهما الأسلوبية، وبعض الإضافات اليسيرة التي تتوفر في أحدهما دون الآخر. ولكن قبل اقتراح الصلة بين العملين ومحاولة إثباتهما لا بد من أن نتناول بالدرس حقيقة كون أكثر من نصف نقولات "كتاب النخل" - التي ترد نفسها في فصل كتاب ابن العوام - تعود إلى مؤلفين فلاحيين أندلسيين عاشوا

والأخيرة في خمسة أجزاء، يبدو الرابع منها محشوراً حشراً في وسطها وهو ليس جزءاً منها بل كتاب فلاحى من عصور إسلامية متأخرة.

(١٧) من الورقة 39B إلى 189B.

(١٨) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين؛ مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٦١، ج٣، ص ٢٢٢.

(١٩) اعتمدنا هنا على نسخة من كتاب "الفلاحة" لابن العوام الإشبيلي، وهي مخطوطة محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني BR.MUS تحت الرقم Add. 10461 وابن العوام هو يحيى بن محمد بن أحمد، إشبيلي، ومن آثاره: الفلاحة الأندلسية، ورسالة في تربية الكرم. كحالة: معجم، ج٣، ص ٢٢٢.

بعد عصر ابن وحشية الذي كان حياً بين ٢٩١هـ - ٣١٨، ٩٠٣-٩٣٠م، بما لا يقل عن قرن ونصف، وسبقوا ابن العوام الإشبيلي بعدة عقود من الزمان أو عاصروه.

ترد الإشارة إلى أول هؤلاء المؤلفين الأندلسيين في كتاب "النخل" على أنه "الحجاج رحمه الله" ويجري الاقتباس منه مرتين في بداية النص^(٢٠)، وهو ما يماثل وضع فصل النخل من فلاحه ابن العوام^(٢١). ونحن لا نعرف مؤلفاً في علم الفلاحة أو الزراعة العربية بهذه الكنية أو الاسم سوى أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج، وقد اشتهر بكتاب له في الفلاحة اسمه "المقنع" وأوفى إشارة عثرنا عليها إلى هذا الرجل وكتابه تلك التي أوردها ابن العوام في مقدمة كتابه "الفلاحة" الآنف الذكر، حين عدّه واحداً من مصادره بقوله: ... واعتمدت على ما ضمنه كتاب الشيخ الفقيه الإمام أبي عمر بن حجاج رحمه الله، المسمّى بالمقنع، وهو الذي ألفه في سنة ست وستين وأربعماية^(٢٢)، وليس لدينا غير هذا التاريخ مما يفيد في تحديد زمن وجود الرجل لعدم معرفتنا بتاريخ ولادته أو وفاته^(٢٣). لقد كان ابن حجاج حياً إذاً في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

(٢٠) كتاب النخل، ص ٦٧.

(٢١) ابن العوام: الفلاحة، ورقة ١٤٩.

(٢٢) المصدر نفسه، ورقة ٢، ورقة ١٤٩.

(٢٣) عن حياته الغامضة انظر:

J.M.Millas Vallicrosa: "Aportaciones Para El Estudio De La Obra Agronomica De Ibn Hayyay Y De Abu-L- Jayr" AL- ANDALUS, Madrid, 1955. vol.xx. pp.87-105.

ولا يمكن أن يكون ابن حجاج المشار إليه في كتاب "النخل" غير الذي أشير إليه في كتاب ابن العوام؛ لأن النصين المقتبسين عنه في كلا الكتابين متشابهان إلى حد كبير ويتّضح ذلك من النماذج الآتية:

كتاب النخل

فصل النخل لابن العوام

١- النخل أنواع عديدة (وبعد بعض وأما غراسة النخل وأنواعه كثيرة... العبارات)... وقد قال الحجاج رحمه الله (وبعد بعض العبارات)... ومن كتاب ناقلاً قول ليونطينس: إن من أراد غرس النخلة عليه أن يحفر حفرة عمقها ذراعين (٢٤) يحفر حفرة قدر ذراعين في العمق... (٢٥).

٢- قال ابن حجاج، (٢٦) رأيت في العراق أناساً يغرسون النخل ولا يضعون غراسة نوى النخل من غير أن يخلط ملحاً في الحفرة... (٢٧). قال ابن حجاج رحمه الله- قد رأيت بتريته ملح... (٢٨).

أما المؤلف الثاني الذي جرى الاقتباس منه في كتاب النخل، وكذلك في فصل كتاب ابن العوام، فهو المسمّى ابن فاضل، وقد اقتبس منه مرتين أيضاً، ولا نجد

(٢٤) ورقة ١٤٩.

(٢٥) ورد ذكر العراق هنا ولم يرد في نص ابن العوام ولم أجد لذلك تفسيراً إلا أن يكون قد سقط من النسخة المخطوطة التي اعتمدت عليها.

(٢٦) ص ٦٧.

(٢٧) ورقة ١٤٩.

ذكراً لمؤلف في الفلاحة أو الزراعة العربية بهذا الاسم، لكننا نعرف من اسمه ابن بصال، وهو عبدالله محمد بن إبراهيم بن البصال الطليطي^(٢٨) الأندلسي، وقد أخبرنا المستشرق الإسباني فيكروسا محقق كتابه في "الفلاحة" أن هذا الاسم لم يرد دائماً صحيحاً لدى الكتاب العرب الذين أشاروا إليه، بل كتب أحياناً ابن فاضل أو ابن فاضل^(٢٩) أو ابن فصال كما هو عند ابن العوام^(٣٠). وكذلك فإننا لا نعلم شيئاً عن هذا الرجل، غير أنه كان فلاحياً، حقق أحدهما المستشرق السابق الذكر، فيكروسا. وما يهمنا هنا هو تحديد زمان وجود ابن بصال، فإذا كان كما قيل عنه أنه عمل في تصميم بستان المأمون حاكم طليطلة (٤٢٩-٤٦٧هـ/١٠٣٧-١٠٧٤م)^(٣١) وله ألف كتابه في الفلاحة، وإذا كان كما قيل أيضاً - أنه ترك طليطلة بعد أن سقطت بيد الإسبان (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) وهاجر إلى إشبيلية وعمل في بستان المعتمد بن عباد (٤٦١-٤٨٤هـ/١٠٦٨-١٠٩١م) حيث جعل منها حقلاً لتجاربه الفلاحية^(٣٢)، فينبغي أن يكون الرجل قد عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وهذا بعد زمن ابن وحشية بكثير. وكرة أخرى فإن ابن فاضل في كتاب النخل، لا يمكن أن يكون غير ابن بصال (أو فصال) نفسه المذكور أعلاه،

(٢٨) ابن البصال : الفلاحة، تحقيق خوسي مارية مياس فيكروسا محمد عزيमान، معهد مولاي السحين، تطوان- العرب المغرب، ١٩٥٥ من مقدمة المحقق ص ٢٠-٢١.

(٢٩) الفلاحة، ورقة ٥.

(٣٠) ابن البصال: المصدر السابق.

(٣١) المصدر نفسه، مقدمة، ص ١٨، و

Stanley Lane- poole the Muhammadan Dynasties Karachi. 1969.p.21.

(٣٢) ابن البصال: الفلاحة، من مقدمة فيكروسا، ص ١٤.

والذي اقتبس منه ابن العوام، لوجود التماثل بين نصي الاقتباس في الكتابين، بصيغة التشابه نفسها في نماذج ابن الحجاج ومثال ذلك:

فصل النخل لابن العوام

كتاب النخل

ويرى ابن فاضل، أنه لو خلط في قال ص (ويقصد به ابن فصال كما زيبلين سماداً أربعة أرطال ملحاً راع وضح في المقدمة): يخلط قدر أربعة الإتاء وزكا...^(٣٤) .
أرطال من الملح في قفتين من الزيل والتراب..^(٣٥) .

وفي الاقتباس الثاني في كلا العملين نجد نظيراً لهذا التشابه^(٣٥). أما المؤلف الثالث الذي اقتبس الكتابان منه، فهو المسمى في "كتاب النخل" بالحجاج الغرناطي^(٣٦). ومرة أخرى يبدو أن الاسم كتب خطأ فهو من الحاج الغرناطي اعتمد عليه ابن العوام، كما يذكر في مقدمة كتابه "الفلاحة"^(٣٧)، ويؤكد فيكروسا ذلك ويضيف بأنه هو المعروف أيضاً بالحاج الطغنجري^(٣٨)، وهو محمد بن مالك من طغنجر إحدى القرى الصغيرة إلى الشمال من غرناطة، وكحال سابقه فإننا لا نعرف تاريخ ولادته ووفاته، إلا أنه عرف بكثرة ترحاله، وخاصة إلى المشرق، حيث

(٣٣) ص ٦٨.

(٣٤) ورقة ١٥٠.

(٣٥) النخل، ص ٦٨، وابن العوام : الفلاحة، ورقة ١٥٠.

(٣٦) ص ٦٩.

(٣٧) ص ٦٩.

(٣٨) ابن البصال : الفلاحة، من مقدمة فيكروسا، ص ١٦.

أدى فريضة الحج -ومن هنا جاء لقبه الحاج الغرناطي- وقد عاصر دولة الطوائف الأخيرة في غرناطة، وفي الإمارة الصنهاجية زمن عبدالله بن بلغين (٤٦٦-٤٨٣هـ/١٠٧٣-١٠٩٠) حيث عمل في خدمته، كما عمل في خدمة الأمير المرابطي تميم بن يوسف بن تاشفين (٥٠١-٥١٢هـ/١١١٨-١١٠٧م) بعد سيطرة المرابطين على غرناطة^(٣٩)، وبذلك يكون الحاج الغرناطي قد عاش في نهاية القرن الخامس وبداية السادس الهجري، وربما عاصر ابن العوام، وليس لنا أن نفترض وجود "حاج غرناطي" آخر خاصة أن الحالة تتكرر، فالاقتباسان عنه في "كتاب النخل" هما نفسيهما في "فلاحة" ابن العوام، وهذا أحدهما كأنموذج:

فصل النخل لابن العوام

كتاب النخل

وقال الحاج الغرناطي تجعل بعد قلعها وقال غ (يقصد الحاج الغرناطي) وغيره في حفرة عمقها لا أقل من شبرين ثم يغرس نقله النخل في حفرة عمقها نحو يلقي عليها سرجين مخلوط بتراب حر شبرين لا أقل، ويرد عليها التراب والزبل وملح بحري..^(٤١) .. والملح^(٤٢) ..

وأخيراً لدينا مصدر رابع، وهو المشار إليه بأبي الخير، جرى الاقتباس منه مرة واحدة في كلا العملين. ولا نعرف شيئاً يذكر عن هذا الرجل، لا تاريخ ولادته، ولا تاريخ وفاته ولا أي فعل له يمكن ربطه بزمن ما لمعرفة أو، تخمين وقت وجوده، يذكره ابن العوام كأحد مصادره، فيقول: "واعتمدت) على كتاب الشيخ الحكيم ابن لخبر (هكذا) الإشبيلي رحمه الله، وهو مبنى على آراء جماعة من

G.S.Colin: Art."Filaha. "Encyclopaedia of Islam, 2nd. Ed. II.P.901. (٣٩)

(٤٠) ص ٦٩.

(٤١) ورقة ١٥٠.

الحكماء والفلاحين وعلى تجاربه..^(٤٢). وأغلب الظن أنه من معاصري ابن حجاج حجاج^(٤٣)، أي من القرن الخامس الهجري وكذلك فإن نصه المقتبس متشابه في كلا العملين^(٤٤).

إن كل هذا يؤكد أن في "كتاب النخل" الكثير من النقول التي تعود إلى مؤلفين أندلسيين عاشوا بعد عصر ابن وحشية بقرابة قرن ونصف، ومن ثم فإن الكتاب لا يمكن أن يكون له، وإن النسبة خاطئة تماماً. ثم يأتي مقطع قرب النهاية في العملين، "كتاب النخل" و"فصل نخل فلاح ابن العوام"، ينهي كل شك ويقطع أي صلة لكتاب النخل بابن وحشية كمؤلف مزعوم له. والمقطع المشار إليه هو كما يأتي:

فصل النخل لابن العوام

كتاب النخل

قال المؤلف: وقد ألحقت نخلاً في جبل أشرف بفحال بري في حين الإلقاح وذررت من دقيقة على الأنثى فكان التمر من أحسن ما يكون. هذا ما فعلته في سنة واحدة^(٤٦)..

لي: (وهذه إشارة يستعملها ابن العوام لتمييز ما هو له عما هو لغيره) ذكر (كذا) نخلة برية^(٤٧) في الشرف^(٤٨) في حين فتح نوارها ببيسير من الفحال وردت عليها عند ذلك ورد مطحون فأرطب طبيياً، وفعلت ذلك بها مرة واحدة في ذلك العام...^(٤٩).

(٤٢) ورقة ٥.

(٤٣) انظر ما أمكن جمعه من حديث عنه في البحث المشار إليه هامش (٣٢) J.M.Millas Vallicrosa: Op. cit. pp. 87-105.

(٤٤) كتاب النخل، ص ٦٩. وابن العوام: الفلاحة، ورقة ١٥٦٠.

(٤٥) كتاب النخل، ص ٦٩، ابن العوام: الفلاحة، ورقة ١٥٠.

(٤٦) في المخطوط برنية.

(٤٧) في المخطوط الشرق.

(٤٨) في المخطوط برنية.

(٤٩) ورقة ١٥٠ وانظر عن أسلوب ابن العوام الخاص في كتاب الفلاحة بأجمله

إن لهذا المقطع أهميته البالغة في تحديد هوية المؤلف، ولو بشكل غير مباشر، فأقرار المؤلف في كلا العملين أنه مارس تجربة فلاحية، وهي نفسها في النصين على جبل - أشرف على الشرق^(٥٠)، يوصلنا إلى حقيقة أن المؤلف هو ابن العوام. فنحن نعرف أن جبل الشرف يقع جنوبي مدينة إشبيلية، مدينة ابن العوام، وهو الموضع الذي أشار إليه ابن العوام مراتٍ على أنه موضع تجاربه الزراعية^(٥٢).

يتضح من كل ما سبق أن مؤلف "كتاب النخل" ليس ابن وحشية النبطي وأن هذا الكتاب الصغير يمت بصلة وثيقة إلى كتاب "الفلاحة" لابن العوام، ولكننا لا نستطيع القول أنه تماماً هو فصل "النخل" من كتاب ابن العوام لوجود بعض الفروقات بين النصين.

إن نظرة أخرى إلى كلا العملين، "كتاب النخل" وفصل "نخل" ابن العوام، ترينا أن بناء وتسلسل مقاطع الاثنتين متطابقة. مقدمة صغيرة ثم صلب النص والمكون من حوالي ستة عشر اقتباساً، هي إلى حد كبير جداً نفسها في كليهما من حيث مصادرها وأسماء أصحابها وتسلسلها، وتتفق في محتوياتها، ولكن تختلف بعض الشيء في أسلوب صياغتها اللغوي مما لا يغير في المعنى أو يخل في المحتوى، ويبدو أسلوب كتابه "كتاب النخل" أكثر وضوحاً وفصاحة وتنظيماً من أسلوب ابن العوام الذي يعنونه اضطراب وتداخله العامية فنقل فصاحته، وهذه الخصائص في

G.S.Colin: op. cit. p.902.

(٥٠) مصطفى الشهابي: "نظرة في كتاب الفلاحة الأندلسية" مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق،

مج ١١، ج ١-٢، كانون الثاني / شباط، ١٩٣١، ص ١٩٤.

وانظر أيضاً G.S. Colin. Op.cit. p.902

لغة ابن العوام سبق أن أشار إليها ودرس بعض أوجهها العلامة مصطفى الشهابي^(٥٢). ولا يخل التشابه في عدد الاقتباسات وتناظر أسماء أصحابها وعددها بين العملين إلا في حالتين أو ثلاث حالات، ليست ذات أهمية تذكر باستثناء واحدة منها يهمننا أمرها، وهي أن أحد الاقتباسات يرد في كتاب النخل منسوباً على "صغريث" بينما يأتي في فصل النخل لابن لعمام منسوباً إلى مصدرين، الأول هو "كتاب الفلاحة النبطية" لابن وحشية وحصته الجزء الأول من الاقتباس، أما الجزء الثاني من الاقتباس نفسه المنسوب على "صغريث"^(٣٥)، ولهذا أهميته فيما سوف نخلص إليه. يلي مجموعة الاقتباسات المذكورة عبارة المؤلف التي سبق وأوردناها من أجل المقارنة، وأخيراً ينتهي فصل النخل لابن لعمام بأحاديث نبوية مقتبسة في فائدة التمر وقيمه، أما "كتاب النخل" فينتهي نصّه بالأحاديث النبوية نفسها بصيغة أسلوبية مختلفة بعض الشيء، ثم يُزاد على كل ذلك ثلاث حكايات عن زراعة النخل يختلط فيها المعقول بالخرافة، ثم حديث آخر للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وفي الختام ملاحظة طيبة ذوقية عن قيمة المتر^(٥٤). وتبدو هذه الإضافة الصغيرة التي لا تتجاوز في مقدارها نصف الورقة ذات طبيعة ليست من القسم الأساسي السابق من النص الذي لم يحد عن كونه خلاصات عملية تجريبية.

نخلص مما سلف إلى أن "كتاب النخل" الذي نشره السامرائي لا يمكن نسبته إلى ابن وحشية، لا كجزء من كتابه الكبير "الفلاحة النبطية" ولا كعمل مستقل له، ولا صلة له بابن وحشية أكثر من مجرد احتوائه على نص صغير مقتبس منه. ولكن "كتاب النخل" هذا صلة وثيقة بابن العوام الإشبيلي (كان حياً بحدود منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، فهو يشابه فصل النخل

(٥١) كتاب النخل، ص ٧٠.

من كتابه "الفلاحة" ولكنه ليس هو تمام. فإما أن يكون عملاً قام به ابن العوام نفسه بأن أعاد صياغة "فصل النخل"، من كتابه من حيث اللغة والأسلوب بشكل أكثر فصاحة وإحكاماً ثم أضاف إليه الإضافات اليسيرة وأخرجه بعد ذلك بهذا الشكل المستقل^(٥٥)، ثم حدث ان تطفّل أحدهم على هذا العمل المستقل فنسبه إلى ابن وحشية بعد إذ جهل اسم المؤلف الحقيقي أو تجاهله، أو أن يكون شخص ما قد تلقّف كتاب "الفلاحة" لابن العوام، وهو عالم بمؤلفه أو جاهل به، فانتزع فصل "النخل" منه وأعاد كتابته مع بعض التغيير في أسلوب لغته، وأضاف إليه حكايات قصيرة وفوائد، ثم نسبه إلى ابن وحشية بعد أن أسقط من داخل النص ذكر كتابه "الفلاحة النبطية" كمصدر لأحد الاقتباسات، كما سبق وأشرنا، كي لا تراود القارئ الشكوك في صحة نسبة الكتاب، وختم ذلك كله بوضع تاريخ قديم له وهو سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م، وهو تاريخ قريب جداً من آخر تاريخ مزعوم ينبئ بوجود ابن وحشية (٣١٨هـ/٩٣٠م)^(٥٦). هذا إلا إذا كان السيد الأوسي قد زل قلمه فنسخ التاريخ المذكور بشكله هذا وهو يقصد به سنة ١٣٢٤هـ ١٩٠٦، ليعني به سنة نسخه هو، أي الأوسي للكتاب المذكور. وفي كل الأحوال يكون تأليف "كتاب النخل" وقد تمّ في عصر ابن العوام الإشبيلي أي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أو بعده، وليس قبل ذلك.

الطريف في حكاية "كتاب النخل" هذا... أن نسبته الزائفة أفلتت من بين أصابع العلامة الأوسي، ولم ينل منها علمه الواسع، ثم مرقت من قلم المحقق أنستاس الكرمللي إلى قرطاسة من دون أن يرصدها، وهو الثبت الذي مرت به مفردة يوماً إلا أصلها وفصلها.. ثم يصر على صحتها أستاذ كبير كالسامرائي... مرتين.. غير عقدين..^(٥٧)

مراجعة جميع الحواشي السفلية في البحث